

من مقاصد العدول اللغوي في النص القرآني مختارات من التراكيب النحوية والبنى الصرفية

Qur'anicLinguistic Shift: SelectedSyntactic and Morphological Patterns

بلقاسم بن مناح*

جامعة أم البواقي (الجزائر)

Benmounah.belkacem@univ-oeb.dz

ملخص:	معلومات المقال
يتناول البحث موضوع العدول في النحو والصرف من خلال مقارنة علمية تحليلية تسعى إلى إبراز أهميته في الكشف عن الخصوصية الأسلوبية للنص القرآني. ويهدف البحث إلى تتبع أبرز صور العدول في البنية النحوية والصرفية، وتحليلها للكشف عن قيمها البلاغية والجمالية، مع رصد أثرها في بناء الدلالة وسياقاتها المختلفة. وقد اعتمدنا منهاجا تحليليا يقوم على استخراج الشواهد وتصنيفها، ثم بيان أبعادها الدلالية. ينطلق البحث من إشكالية مفادها ما طبيعة العدول في القرآن الكريم؟ وما وظائفه الدلالية؟ كما يتناول في عناصره الرئيسية صور العدول المتنوعة مع بعض النماذج القرآنية وتحليلها، ثم يعرض النتائج التي خلص إليها في ضوء التحليل. وبهذا يقدم إسهاما في فهم أعمق لآليات الخطاب القرآني وأسرار تعبيراته المتنوعة.	تاريخ الارسال: 2026-10-01 تاريخ النشر: 2026-06-12
	الكلمات المفتاحية: ✓ العدول: ✓ النحو والصرف: ✓ القرآن الكريم:
Abstract :	Article info

This paper examines 'udūl—departures from default syntactic/morphological patterns in the Qur'anic text, showing how it shapes meaning and style. It asks what 'udūl is and what semantic functions.

Using a descriptive-analytical method on curated evidence classified by type, the study finds that non-default selections optimize emphasis, refine meaning, and fit discourse context, and outlines an operational framework distinguishing 'udūl from neighboring notions (e.g., iltifāt, reordering).

Keywords:

- ✓ shift:
- ✓ Syntax; Morphology:
- ✓ Qur'an:

. مقدمة:

تركز هذه الورقة البحثية على موضوع العدول في النحو والصرف بوصفه ظاهرة لغوية وأسلوبية ذات حضور لافت في الخطاب القرآني على وجه الخصوص. وتكمن أهمية الدراسة في الكشف عن تميز التعبير القرآني في تجاوز المؤلف من البنى والتراكيب إلى البديل ذي الدلالات الخاصة والموسعة. ومن هذا المنطلق يهدف البحث إلى إبراز القيمة العلمية والبلاغية لهذه الظاهرة، وبيان أثرها في بناء الخطاب القرآني، بما يتيح فهما أعمق لسر من أسرار أسلوبه وطرائقه في التعبير.

كما يهدف إلى تحقيق جملة من الأمور أبرزها تحديد المفهوم الدقيق للعدول في مستويي النحو والصرف، ورصد أبرز أنماطه في النصوص المدروسة، ثم تحليلها لمعرفة كيفية توجيهه المعنى وإثراء البنية التركيبية للنص.

ينطلق البحث من إشكالية مركزية تتمثل في السؤال الآتي ما طبيعة العدول في النحو والصرف في القرآن الكريم؟ وما هي صورته وأنماطه؟ وما أثر كل ذلك دلاليًا؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية فرضيات أساسية أهمها أن العدول ليس خروجًا عن الأصل القياسي بقدر ما هو اختيار أسلوب مقصود، وأنه يسهم في تكثيف المعنى وإضفاء قوة بلاغية على النص، وأن كل نوع من أنواعه يؤدي وظيفة خاصة في السياق.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمد البحث منهجًا تحليليًا يقوم على رصد الأمثلة وتصنيفها، ثم تحليلها في ضوء المستويين النحوي والصرفي. وتتوزع عناصره على ملخص يوجز محتواه، ومقدمة تعرض الإشكاليات والمنهج، ومباحث تتناول أنماط العدول المختلفة، تليها خاتمة تلخص أهم الاستنتاجات ثم بعض التوصيات.

2. مدخل إلى العدول في اللغة (التعريف - التجليات - الدلالات):

قال أبو منصور الثعالبي: "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها (الثعالبي، 1999، صفحة 1).

والحقيقة أن صرف الهمة إلى العربية إنما يكون بالاهتمام بكل فروعها، والتي منها علم "النحو والصرف" وهو "علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب" (عصفور، 1971، صفحة 45)، أو هو "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره..." (ابن جني، دتا، صفحة 45)، وهما تعريفان يكمل أحدهما الآخر، فالأول في الجانب النظري والثاني في الجانب التطبيقي.

وللنحو والصرف قواعد تسهم في تنظيم الكلام واختيار الصيغ وترتيب الوحدات ترتيبًا تنشأ عنه معان ذات فائدة، وقد يعدل عن تلك النظم إلى غيرها لأغراض ما، ومن ذلك أن يذكر المصدر في سياق يكون فيه المشتق أقرب الاحتمالات كقوله تعالى { تُمْ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا } البقرة: 260، وقد كان المنتظر (ساعات) بدل (سعيًا)، أو أن تذكر صيغة صرفية لم تكن هي المنتظرة كنحو قوله تعالى { وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } النساء: 60.

فكانت (إضلالًا) أسبق إلى الذهن من (ضلال)، أو أن يعدل عن حالة إعرابية منتظرة إلى غيرها كأن يعطف الشيء على مغايره من نحو ما في قوله { وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ

المُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ { سورة التوبة: 03، أو أن يعدل عن النمط الأصلي للتركيب إلى غيره كاختيار التحول في التمييز بدل الأصل فينحو قوله: { أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا { الكهف: 34. أو كحذف عنصر من عناصر تركيب ما كحذف موصوف (القليل) و(الكثير) في قوله تعالى {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا { التوبة: 82، أو كاختيار صيغة عددية أو صيغة زمنية لم تكن هي المنتظرة في ذلك السياق كما في قوله {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا { الحجرات: 9، وقوله {فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ { البقرة: 91، فقد كان المنتظر تنحية فاعل (الاقْتَتَل)، واختيار الماضي في (القتل). فما السبب في كل ذلك؟ وما معنى العدول في اللغة؟ وما المراد به في اصطلاح اللغويين؟ وهل له تجليات أخرى في غير هذه النصوص القرآنية؟ وهل له صور متباينة كما عهدنا في كل ظاهرة لغوية؟ وما الأسرار التي تنطوي عليها؟ وأين تكمن أهمية العدول في نصوص القرآن الكريم تحديداً؟ وكيف؟ كل ذلك مما كان ولا يزال يثير في أنفسنا جملة من التساؤلات التي ذكرناها وهو مما دفع بنا إلى اختيار موضوعنا الموسوم "من مقاصد العدول اللغوي في النص القرآني مختارات من التراكيب النحوية والبنى الصرفية"

و قد كانت الغاية منه استنطاق النص في محاولة للكشف عن الأسرار الكامنة في صيغه وتراكيبه فتجلت أهميته وبشكل أوضح في :

1- الانتقال من مرحلة الدراسة السطحية لقواعد التعبير إلى مرحلة الاستعمالات الاستثنائية لهذه القواعد بغرض فهم ما يتولد عن ذلك من جديد المعاني لمختلف الخطابات القرآنية تحديداً.

2 - اختيار نصوص من القرآن الكريم بعده مصدر التشريع الأول، وفي ذلك من الأهمية ما يستحق النظر.

3- تعزيز ما يسمى بالتعاقب النحوي البلاغي، لأن العدول في النحو والصرف أشبه بالمجاز في البلاغة لخروجه عن الاستعمال الأصلي لقواعد التعبير كخروج المجاز عن الحقيقة، لولا أنه يخرج - في المجاز - عن الحقيقة كنحو قولهم عن الشجاع "أسد"، بخلاف النحو فلا يخرج - غالباً - عنها، ومثاله العدول إلى التمييز المحول في نحو قوله تعالى: (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) - الكهف 34- لأن أصل التعبير: مالي أكثر من مالك، فلا خروج عن الحقيقة في كليهما، لكن من حيث المعنى يوجد بينهما اختلاف، ولذلك قيل بأنـه " لا يعدل من تعبير إلى تعبير إلا يصحبه عدول من معنى إلى معنى " (السامرائي، 2017، صفحة 381). فما عساه يكون هذا المعنى يا ترى؟

1.2 حد العدول:

أ- لغة: العدول من (عدل) ومعناه حاد، (الفيروزآبادي، 2008، صفحة 1061) " وهو الميل أو تغيير الجهة أو الرأي " (almaany، 2004).

ب- اصطلاحاً: هو " الانتقال بالألفاظ في النص من سياقها المألوف الاعتيادي إلى سياق جديد خلاف الظاهر مما يثير التساؤل ويلفت النظر والانتباه " (فياض، 2008، صفحة 05)، فهو خروج عن الأصل والقاعدة اللغوية المعتادة بغرض التعبير عن مقاصد لا يمكن أن يعبر عنها الأسلوب المباشر.

وبعد قراءتنا لنصوص من القرآن الكريم تمكننا من تسجيل ما يشهد بحضور ظاهرة العدول على مستوى الأبنية الإفرادية وكذا التراكيب مع ذكر مختلف صورته ورصد جديد معانيها .

3. العدول النحوي:

1.3 العدول عن حالة إعرابية إلى غيرها:

الواقع أن لهذا النوع من العدول كثير الصور نختار منها ما يتعلق بعطف المتغيرات، ومعناه أن يعطف الشيء على غير نظيره، ولنا من ذلك كثير الشواهد، وهذا نوع خاص من العدول: **العدول الإعرابي**، ويُساق تحت عنوان «عطف المتغيرات»، وجديرٌ بالتنبيه أن الأمثلة الآتية أقربُ في اصطلاح النحاة إلى **القطع** (قطع المعطوف أو النعت عن متبوعه) وإلى **النصب على المدح**، وهما صورتان بارزتان من العدول الإعرابي؛ ويدخلان في «عطف غير النظير» من جهة الأثر: **إخراج العنصر المقطوع من نسق ما قبله إبرازاً لشأنه**.

وفائدته البلاغية أنه يكسر النسق المتتابع فيُحدث ومضة انتباه، فيدلّ على تعظيم المقطوع أو تمييزه أو تنصيص الحكم عليه استقلالاً.

وهذه بعض الآيات والشواهد:

قوله تعالى: {...وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} التوبة: 03، وذلك على قراءة من يرفع (رسوله) قطعاً للمعطوف عن المعطوف عليه، ومثل ذلك "يؤتى به للدلالة على أهمية المقطوع من بين المعطوفات (السامرائي، معاني النحو، 2017، صفحة 238)، والمراد هو الجمع بين معنيين "وهما: عطف براءة الرسول على براءة الله، وبيان أن براءة الرسول ليست بمنزلة براءة الله، وإنما هي تابعة لها ولو عطف بالنصب لم يفد هذين المعنيين (السامرائي، معاني النحو، 2017، صفحة 228)، ولأفاد معنى واحداً وهو المتضمن في التعبير الأصلي قبل العدول. فالأصل القياسي المتوقع استمرار النسق الإعرابي على مقتضى «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» بالعطف على محل اسم «أَنَّ» أو على المشركين. فجاء رفع «ورَسُولُهُ» على القطع، مع تقدير خبر محذوف أيورَسُولُهُ بريء منهم، أو على الابتداء بعد تمام الكلام الأول.

ومن بلاغته: إبراز منزلة الرسول ﷺ بإخراج ذكره من حيز التبعية النحوية؛ وفي الوقت نفسه إثبات التبعية المعنوية: براءته تابعة لبراءة الله لا مساوية لها.

ومن سلامة المعنى من توهم قبيحاً ذلوا جرَّ «ورَسُولُهُ» مع «من المشركين» لتوهم متوهم غير المحكم إضافة الرسول إلى المشركين (وهو باطل)، فجاء الرفع قاطعاً هذا التوهم.

وقوله تعالى: {...لَكِنَّ الرَّاْسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} النساء: 162، فقد عدل في (المقيمين) عن الرفع الذي وردت به كل الصفات المذكورة، إلى النصب وذلك - ربما - يعامل نصب محذوف تقديره: "وأمدح المقيمين... وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها (ابن هشام، 2004، صفحة 54)، فكان ذلك سبباً في الجمع بين معنى (إثباتاً إقامة الصلاة مما يلحق العبد بزمرة المؤمنين الذين سيؤتيهم الله أجراً عظيماً) ومعنى (أن للصلاة أهمية خاصة دون غيرها من الصفات المذكورة - رغم أهمية الكل - وذلك لما تسهم به الصلاة في توطيد علاقة العبد بربه).

فالأصل القياسي المتوقع: موافقة «المقيمين» لما قبلها فرفعها على أنها صفة مع أخواتها: الراسخون، المؤمنون، المؤتون، المؤمنون...

والعدول عنها هو نصب «المقيمين» على المدح (أو على الاختصاص عند بعضهم) بتقدير فعل محذوف: وأخص أو أمدح المقيمين الصلاة، ومن بلاغتها التنويه بالصلاة وإبرازها من بين الخصال؛ فالقطع يخلق سمة تُعلي شأنها.

2.3 العدول إلى التمييز المحول:

التمييز نوعان: إما محول، وهو الذي يعرب - في الأصل - إعراباً غير التمييز، أو غير محول وهو الذي لا يعرب إلا تمييزاً ولا يصح تحويله عنه في ذات السياق والمعنى، ومثال هذا الأخير قولنا: امتلاً الإناء ماء، فلا يصح (امتلاً ماء الإناء)، بخلاف التمييز المحول فهو معدول به عن وجه إعرابياً آخر كالمبتدأ والفاعل والمفعول به، فتمييز النسبة (الجملة): يرفع إبهام النسبة بين المسند والمسند إليه كطاب زيد نفساً. أما تمييز الذات (المفرد): يرفع إبهام ذات سابقة كامتلاً الإناء ماءً.

المحول: هو ما كان أصله غير تمييز (مبتدأ أو فاعل أو مفعول...)، ثم عدل إلى التمييز لإفادة التوسع والتوكيد والتعميم، وقلب زاوية النظر: بدلاً من الإخبار عن الشيء، تُجعل النسبة هي محور الإخبار فيرتسم إحياء الإحاطة والعموم، فيحقق التمييز المحول البلاغة والإيجاز معاً: أي لفظ واحد يُغني عن تركيب أطول (اشتعل الرأس شيباً بدلاً من اشتعل شيب الرأس).

ومثال التمييز المحول عن المبتدأ قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا} يونس: 21، وقوله: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} البقرة: 74، ومعنى الأول: مكر الله أسرع، ومعنى الثاني: قسوة قلوبهم أشد... ومثله قوله: {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} الكهف: 34، وكان المنتظر أن يقال: مالي أكثر من مالك ونفري أعز من نفرك، وقد عدل عن هذا التعبير إلى التمييز بغرض المبالغة والتوكيد والشمول والانتساع (الياسري، 2018، صفحة 116).

ومثال المحول عن المفعول به قوله تعالى: {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا} القمر: 12 أي: "وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر، وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الأرض ونظيره في النظم - واشتعل الرأس شيباً (الزمخشري، 2006، صفحة 37)، وإن كان هذا الأخير عن التمييز المحول عن الفاعل لأن المنتظر فيه أن يقال: واشتعل

شيب الرأس، لأنك في التحويل كأنك تشير إلى شمول الاشتعال لكل الرأس، ولهذا كان القاسم المشترك بين هذين المثالين هو أن التحويل فيهما أبلغ من الأصل.

3.3 العدول إلى الحذف بدل الذكر:

ويراد به حذف ما كان القياس فيه أن يذكر، وقبل سرد النماذج يحسن التذكير بأن الحذف نوعان، - منه ما لا يؤدي إلى التوسع في المعنى وهو " ماتعين فيه المحذوف، كقوله تعالى: {وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا} النحل:30 " (السامرائي، الجملة العربية والمعنى، 2017، صفحة 208)، وقوله: {قَالَ مُوسَى أَنْتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا...} يونس:77. والتقدير في الأول: قالوا أنزل خيرا، وفي الثاني: أنقولون للحق لما جاءكم هذا سحر.

- ومنه ما يؤدي إلى توسيع المعنى - وهو الذي يعيننا هنا كنحو قوله تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} التوبة:82، والمحتمل من النص أن يكون المعنى: فليضحكوا ضحكا قليلا وقتا قليلا، وليبكوا بكاء كثيرا وقتا كثيرا (السامرائي، الجملة العربية والمعنى، 2017، صفحة 205)، حيث عدل عن كل ذلك إلى كلمتين فقط جمعنا هذه المعاني الأربعة (الضحك القليل لوقت قليل والبكاء الكثير لوقت كثير) فجمع بذلك بين مفعول مطلق ومفعول فيه في الجزء الأول من الآية الكريمة، وبين مفعول مطلق أيضا ومفعول فيه في الجزء الثاني منها. **فالحذف لا يكون بليغا إلا مع قرينة كافية** ترفع اللبس (لفظية أو حالية أو مقامية). ومن بلاغته: **الإيجاز المكثف** بتقليل المبنى، وتكثير المعنى، و**تعظيم العموم**: فترك المفعول (في وَعَدَ رَبُّكُمْ) يفيد شمول الوعد كله. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} الأعراف:44، فقد ذكر مفعول (وَعَدَنَا رَبُّنَا) وعدل عن ذكر مفعول (وَعَدَ رَبُّكُمْ) "لأن الكافرين كانوا منكرين لأصل الوعد والوعيد وليسوا منكرين لما وعدهم به فقط، فكأنه قال: هل وجدتم وعد ربكم حقا" (السامرائي، الجملة العربية والمعنى، 2017، صفحة 209) أي، "كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأن الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك (الزمخشري، 2006، صفحة 80).

- هذا وللعُدول بالحذف أغراض أخرى منها إرادة نسبة الحدث إلى الفاعل بحذف المفعول، ومنه قوله: {وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ} آل عمران:156، وقوله: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} آل عمران:65، أو كإرادة المفعول دون الفاعل ومنه قوله: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} الأنبياء:37، وقوله: {قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} عبس:17. ومما قالوه عن العدول عن الفاعل إلى نائبه أن يكون للإشارة إلى جلالة الفاعل أو للعلم به أو للجهل به (الأنصاري، دتا، صفحة 135)، ومثال ذلك من القرآن الكريم: {لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} المائدة:78. فمعلوم أن اللعنة أمر جلال لا يفعله إلا الجليل، وفي قول أحدهم (سرق متاعي) معلوم بأن الفاعل هو اللص وإن لم يحدد، أما في قولنا (عثر على كنز) فالفاعل هنا مجهول الهوية.

فالعدول يوظف الحذف على وجهين متكاملين: **حذف المفعول** لإسناد الحدث إلى الفاعل مطلقا وقصر الفعل عليه وإظهار جلاله، كما في {وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ}؛ و**حذف الفاعل** (بناء المجهول) لأغراض سياقية متعددة: إما لتعظيم الفاعل فلا يُصرَّح به، أو للعلم به فلا حاجة لذكره، أو للجهل به، فتتجه البؤرة إلى نفس الحدث والمفعول - أو «المحكوم عليه» - لا إلى مباشر الفعل، كما في {خُلِقَ الْإِنْسَانُ} حيث يُنظر إلى المنشأ والمنشأ معا، وكما في {قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} إذ يُبرز الحدث والحكم على الإنسان دون الالتفات إلى تسمية الفاعل.

4. العدول الصرفي:

1.4 العدول عن المشتق إلى المصدر:

ويقصد به أنك ترى شواهد يستعمل فيها المصدر بدل المشتق فيثير ذلك في نفسك تساؤلا وحينما تبحث في العلة تجد بأنه لم يكن الأنسب فيه إلا ما استعمل، ومن ذلك:

-قوله تعالى: (فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا) البقرة:260، فقد ورد المصدر (سعيًا) بدل المشتق (ساعات: وهو حال) وهو أقرب الاحتمالات لكن العدول عنه كان لإرادة أكثر من معنى الحال، فربما قصد المفعول المطلق أيضا بغرض توكيد "السعي" فعبّر في كلمة واحدة عن معنيين: الحال من ضمير الفاعل في "يأتينك"، والمفعول المطلق (السامرائي، 2017، صفحة 206).

فإن قيل: وكيف تكون "سعيًا" حالًا وهي مصدر والمعروف أن الحال يكون مشتقًا؟ نقول: إنه من قبيل الحال المؤول بالمشتق، وليس هذا بالبدع من الكلام فله من النظائر ما يعززه، وفي القرآن الكريم ذاته، ومنه قوله تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} الأعراف: 55، وقوله: {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...} الأعراف: 205، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ} الأنفال: 15. فهو في النص الأول مؤول بـ "متضرعين ومخفين"، وفي الثاني: "متضرعا وخائفًا"، وفي الثالث: "زاحفين"، وقد يكون لكل من (تضرعا وخفية وخيفة وزحفا) إعراب آخر محتمل، لكن الأكيد أن الحال من ضمن الأوجه المحتملة.

وقريب من هذا ما في قوله تعالى: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} الأعراف: 56، فقد عدل إلى المصدر (خوفا) و(طمعا) بدل المشتق (خائفين) و(طامعين) ليشمل التعبير ثلاثة معانٍ وهي: (الحال والمفعول المطلق والمفعول لأجله) في لفظ واحد (السامرائي، 2017، الصفحات 348-349)... فأما الحال فلا إشارة إلى أن الدعاء يجب أن يكون صاحبه في حالة من الخوف والطمع في آن واحد، ويعززه قوله: {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} الأنبياء: 89. وأما المفعول المطلق فللتأكيد الفعل المحذوف المقدر بـ (تخافون) و(تطمعون)، والتقدير: وادعوه وأنتم تخافون خوفاً وتطمعون طمعا، وأما المفعول لأجله فللتنبيه إلى أن الدعاء بل وكل العبادات يجب أن تكون علتها الخوف والطمع.

2.4 العدول عن صيغة صرفية إلى غيرها في تعبير واحد:

- ومن ذلك قوله: {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} النساء: 60، و"القياس أن يضلهم إضلالًا بعيدًا، لأن مصدر (أضل) هو (الإضلال)، أما (الضلال) فهو مصدر (ضل)، قال تعالى: {فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} النساء: 116، والمعنى: أن يضلهم فيضلوا ضلالًا بعيدًا، وقد جمع المعنيين: الإضلال والضلال في آن واحد، والمعنى أن الشيطان يريد أن يضلهم ثم يريدهم بعد ذلك أن يضلوا بأنفسهم، فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتمونها. (السامرائي، 2017، صفحة 203) وفي ذلك تحميل صريح لمسؤولية التكليف للإنسان بدل التملص بدعوى أن الشيطان هو مصدر كل شر.

- ومنه قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} البقرة: 245، حيث عدل في اللفظ (قرضا) عن (الإفعال) إلى (الفعل)، لأن قياس مصدر (يقرض) هو (إقراضا)، و(القرض) اسم له وليس مصدرا، وقد جمع بين الصيغتين المختلفتين للجمع بين معنيين مختلفين في تعبير واحد بغرض توسيع المعنى، فأما الأول فللتأكيد على أن الحدث (القرض) يجب أن يكون حسنا فلا يشوبه رياء ولا من ولا تكدير على المنفق عليهم، وأما الثاني فهو التأكيد على أن يكون المفعول (المقروض) - وهو ما ينفقه العبد من مال وغيره - حلالا طيبا منزها عن الشبهة والحرام (أبوحيان، 1911، صفحة 252)، ولنتأمل بعد هذا التحليل كيف لظاهرة العدول النحوي والصرفي في القرآن الكريم أن تعلمنا أصول التعامل والتصافي بين العبد والعبد، ومبدأ الإخلاص بين العبد وربّه.

- ومنه أيضا قوله تعالى: {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} المزمّل: 08، فقد عدل في (تبتيلا) عن (التفعل) إلى (التفعيل) معانٍ المنتظر أن يقال (وتبتل تبتلا)، لأنه مصدره القياسي وليس (تبتيلا)، وذلك بغرض الجمع بين معنى (الندرج) المستفاد من (التفعل) في (التبتل) ومعنى (المبالغة) المستفاد من (التفعيل) في (التبتيل)، ولعل السر الكامن وراء كل ذلك أن المسلم مكلف في كل طاعاته بأن يبدأ باليسير ثم يطوع نفسه على الطاعة بالتدرّج شيئا فشيئا حتى يعود عليها وتألّفها نفسها إلى درجة التلذذ بها فيصير من المواظبين عليها إلى حد المبالغة (السامرائي، الجملة العربية والمعنى، 2017، الصفحات 203-204)، ولا يخفى ما في ذلك من إسهام في تركية النفس وترويضها على طاعة الله وعبادته.

3.4 العدول عن الصيغة العددية القياسية:

والمراد به الالتفات من الإفراد إلى التثنية أو الجمع أو العكس ومنه قوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا..} الحجرات: 09، حيث عدل في (اقتتلوا) عن التثنية بعد أن استهل بها النص الشريف في كلمة (طائفتان) ثم عدل في (بينهما) عن الجمع، وبيان ذلك "أن الطائفتان في معنى القوم أو الناس" (الزحيلي، 1991، صفحة 235) فعدل من التثنية إلى الجمع في (اقتتلوا) لاعتبار المعنى (البرسوي، دتا، صفحة 73)، ثم عدل إلى التثنية لمراعاة ظاهر اللفظ (طنطاوي، 1986، صفحة 183)، ولذلك قيل: "إنهما ولا

في حال القتال مختلطون فلذا جمع ضميرهم وفي حال الصلح متميزون متفارقون فلذا ثني الضمير (الألوسي، 1983، صفحة 150)، وبيان ذلك أنه "عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة"، وكل أحد برأسه يكون فاعلا فعلا فقال "اقتتلوا" وعند العود من الصلح تتفق كلمة كل طائفة.. لكون الطائفتين حينئذ كنفسين (الرازي، 1985، الصفحات 127-128).

وعلى ذكر الالتفات يحسن الإشارة إلى العلاقة التداخلية بينه وبين العدول فإذا كان شرط الالتفات هو الانتقال من صيغة إلى أخرى أو من تعبير إلى غيره في ذات السياق من نحو ما مر بنا في آية الحجرات في كلمتي (طائفتان - اقتتلوا)، فإن العدول لا يشترط فيه قصد الانتقال من صيغة إلى غيرها وإنما هو الانتقال بالألفاظ من سياقها المؤلف إلى غيره، بمعنى أنه قد لا يكون في العدول نمطان مستعملان وإنما نمط واحد ويبقى الآخر في دائرة الافتراض لا الاستعمال، ومنه قوله تعالى { قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ رَّجُلٌ } (وقد كان المنتظر في اسم الإشارة نصبه بعلامة الياء والنون).

أما إذا وجد نمطان مختلفان في سياق واحد فهو عدول والتفات في آن واحد. فقوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ رَّجُلٌ) مثال يُستحسن عند عرضه التنبيه إلى وجوه لغوية مروية، منها لغات في الأسماء الخمسة والمثنى، واعتبارات في «إِنَّ» المخففة أو المهملة عند بعض اللغويين. وليس المقصود هنا التفصيل، بل الإشارة إلى أن الاختيار القرآني له تخرجات معروفة؛ والزواية البلاغية تُبرز إحضار الحكم بصورة أشد تأكيداً.

4.4 العدول عن الصيغة الزمنية القياسية:

والمراد به اختيار المضارع دون الماضي المنتظر، أو العكس. فأما الأول فمنه قوله تعالى: { قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ } البقرة: 90، والأمر موجه للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يستفهم عن سبب قتلهم (أو بالأحرى قتل أسلافهم) للأنبياء، وهو أمر قد وقع في سالف الأزمان فلماذا المضارع وكان الماضي هو الأنسب؟

مما قيل في هذا الأمر ونحوه أنه "إذا كان الحدث ماضياً وكان مهماً فإن العرب تأتي بصيغة المضارع حتى يجعل الحدث كأنه شاخص ومشاهد أمامك... فقتل الأنبياء هي حالة مستغربة، وفي القرآن يأتي بصيغة المضارع من الأشياء التي تدل على الحركة والحيوية والمهمة" (الزمخشري، 2006، صفحة 80)، وهو ما يسمونه بحكاية الحال. وقريب منه مافي قوله أيضاً: { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ... } البقرة: 102

فالحديث هنا عن السحر وعن الذين يتعلمونه بغرض التفريق بين المرء وزوجه، وهو أمر غاية في الغرابة والتحريم، وما أكثره وما أكثر ممارسيه عبر مختلف الأزمنة والأمصار.

وأما الثاني فمنه قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا... } الحجرات: 06. فمع أن المضارع هو الأليق بالشرط بعد (إن) لأنه يفيد الاستقبال فقد عدل عنه إلى الماضي حتى لا يبقى للفاسق طمع في المجيء بالنبا الكاذب، لأن هذا الأمر قد حدث مرة وانتهى والمفترض عدم التفكير في العودة إلى فعله.

ونظيره قوله: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... } الحجرات: 09، وذلك حتى لا ينبئ المضارع بالاستمرار (ابن القيم، دتا، الصفحات 32-33)، فلا يكون مثل هذا الأمر من المؤمنين إلا نادراً أو لا يكون أصلاً. وذلك مايدل عليه أيضاً عدول التعبير عن (إذا) الشرطية الظرفية إلى (إن) الدالة على ندرة التوقع أو انعدام الوقوع (ابن عاشور، 1984، صفحة 239).

إن اختيار الزمن في التعبير القرآني يخدم زاوية النظر الخطابية: فالمضارع لحكاية الحال، يُحضر المشهد الماضي وكأنه واقع الآن بما يبعث الحيوية والدهشة والاستغراب، كما في { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ }؛ إذ تُستحضر وقائع قديمة بصورة راهنة. ويُقابله الماضي بعد إن لتقليل التوقع والتحجيم، فيكف إحياء الاعتياد ويقدم الواقعة كحادثة طارئة تستلزم إجراء صارماً عند وقوعها، نحو { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا }.

والمعيار البلاغي الجامع أن الزمن المختار يُفصح عن المقام: أهو تحذير من حادثة عارضة، أم تصوير حدثٍ مُشاهد، أم تنبئ سنةً مطردة؟

5. خاتمة:

هذه جملة النماذج الشاهدة على حضور ظاهرة العدول في نصوص القرآن الكريم على مستوى النحو والصرف نكتفي بها لنخرج بالآتي:

-العدول في النحو والصرف في القرآن الكريم ليس ظاهرة عارضة بل هو اختيار أسلوبى مقصود يحمل أبعادا دلالية وبلاغية عميقة، بل ويهدف إلى مقاصد سامية على المستويات (المعرفية اللسانية والتربوية والدينية التشريعية).

-علاقة العدول بالانتفات علاقة تداخل لا تطابق فكل التفات انتقال معلن بين صيغ مستعملة بينما قد يكون العدول انتقالا من المتوقع إلى المختار ولو لم تذكر الصيغة المرجوحة في السياق، أي أن كل التفات عدول وليس كل عدول التفاتا.

-للعدول دور في توسيع المعنى وتكثيف الدلالة .

-للعدول أهمية في استنطاق النص مما يؤثر في المتلقي ويشد انتباهه.

-كما تبين أن العدول انتقال مقنن من البنية المتوقعة قياسا إلى بديل معلن بسياق الخطاب، يحقق غاية دلالية وبلاغية، يمكن التحقق منها بالعودة إلى النص واستقراء خصائصه السياقية.

-وظائف العدول تتوزع في القرآن الكريم بين إبراز عناصر مخصوصة ورفع منزلتها السياقية، كالقطع في قوله تعالى ورسوله، والتوكيد وتقوية الأحكام كاختيار المصدر لإفادة الحال والمفعول المطلق، والتوسعة الدلالية بجمع الوظائف النحوية المتعددة في صيغة واحدة ومراعاة مقتضى الحال كحكاية الحال في الماضي، أو الماضي بعد إن لتقليل التوقع، والإيجاز المؤثر بالحذف مع بقاء الدلالة أوسع من المنطوق، وبناء التناسب اللفظي.

-كما تبين أن القطع في العطف يوفر معنيين متراكبين، ضم الحكم إلى ما قبله مع الإبانة عن تمييز المقطوع في المنزلة أو الأهمية، وهو أبلغ من العطف على الجوار في المواطن التي تقصد إبراز الاستقلال والتابعة معا.

- أما التمييز المحول، فهو يحقق التعميم مع المحافظة على الحقيقة، وهو أبلغ من الصيغة القياسية، لأنه يشيع المعنى في جميع المضاف إليه.

الحذف المغني يضاعف كثافة المعنى، فالمفعول المطلق، مع الظرف أو السبب، يُقَوِّي الإيجاز، بشرط أن يُفهم المحذوف من السياق أو من قرينة نفضية أو حالية، مما يجعل المسكوت عنه جزءا من الدلالة الكلية.

-العدول الصرفي بين المصدر والمشتق يسمح بتركيب طبقات المعنى، كالحال والمفعول المطلق والمفعول لأجله في كلمة واحدة، ويبرز علّة الفعل وهيئته معا.

- إن اختيار صيغ مصدرية اسمية غير القياس ك:قرضاً بدل إقراضاً يجمع بين حكم على نوع الفعل وحكم على مادته أو مفعوله، فيحكم باب التكليف أخلاقياً ومعنوياً.

- العدول الزمني كالمضارع لحكاية الحال في الماضي، والماضي بعد إن يضبط وجهة النظر الزمنية للمتلقى يشخص الحدث الماضي ويمنع استدامة ما لا ينبغي دوامه .

-تبين أن العدول إطار لتكامل النحو والبلاغة في التدريس، ويقترح إدراجه في التعليم لربط الظواهر النحوية بالمقاصد البلاغية، وأثر ذلك في تلقي الخطاب القرآني

وعليه فإننا نهيب بكل من ينشغل بالدراسات اللغوية القرآنية أن يشمروا على سواعد الجد ليكشفوا عن مزيد شواهد العدول في القرآن الكريم لما لهذا الموضوع من أهمية وفوائد تجعلنا نأمل من الجهات المسؤولة عن المقررات الدراسية أن تبرمج تدريسه ضمن تلك المقررات ولمختلف المستويات وخاصة منها ما كان موجها لطلبة التعليم العالي.

كما ندعو وبإلحاح إلى ضرورة الاستفادة من تقنيات التحليل الحاسوبى لاستخراج أنماط العدول كلها ورصدها آليا .

أخيرا يمكن القول إن هذا البحث يمثل خطوة نحو الإحاطة بجانب من أسرار التعبير القرآني، وقد يفتح المجال أمام دراسات أوسع تربط بين العدول النحوي والصرفي وباقي الظواهر الأسلوبية واللسانية.

- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي. (1983). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار الفكر.
- الأندلسي أبو حيان. (1911). *البحر المحيط*. القاهرة: مطبعة السعادة.
- البرسوي اسماعيل حقي. (د.ت). *روح البيان*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الثعالبي، أبو منصور. (1999). *فقه اللغة وسر العربية*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن جني أبو الفتح عثمان. (د.ت). *الخصائص*. بيروت: المكتبة التوفيقية.
- الرازي محمد فخر الدين. (1985). *التفسير الكبير*. بيروت: دار الفكر.
- الزحيلي، وهبة. (1991). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. بيروت: دار الفكر.
- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. (2006). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: دار الفكر.
- السامرائي فاضل صالح. (2017). *الجملة العربية والمعنى*. بيروت: دار ابن كثير.
- السامرائي فاضل صالح. (2017). *معاني النحو*. بيروت: دار ابن كثير.
- طنطاوي محمد السيد. (1986). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. القاهرة: مطبعة السعادة.
- ابن عاشور الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية.
- ابن عصفور الإشبيلي. (1971). *المقرب*. بغداد: مطبعة العافي.
- حسن حميد فياض. (2008). *العدول في السياق القرآني*. الكوفة: منشورات جامعة الكوفة.
- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب. (2008). *القاموس المحيط*. القاهرة: دار الحديث.
- ابن القيم. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (د.ت). *الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن هشام. أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، (2004). *شرح شذور الذهب، القاهرة، دار الطلائع*.
- ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري. (د.ت). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. بيروت: المكتبة العصرية.
- الياسري فاخر هاشم. (2018). *تجليات التعبير اللغوي في النص القرآني*. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.